

Mukatil b. Suleyman

مقاتل - 150



سُورَةُ الْفَجْرِ



سُورَةُ الْفَجْرِ مَكِّيَّةٌ، عَدَدُهَا ثَلَاثُونَ آيَةً كُوفِيِّ



بسم الله الرحمن الرحيم  
Besmele-i şerife



1-(وَالْفَجْرِ)

{ والفجر } يعني غداةً, جمعُ يومِ النحرِ

2-(وَلَيَالٍ عَشْرٍ)

{ وليال عشر } فهي عشرُ ليالٍ قبلَ الأضحى ، وأما سماها الله ، عز وجل ، ليالٍ عشرٍ لأنها تسعةُ أيامٍ وعشرُ ليالٍ

3-(وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ)

{ والشفع والوتر } وأما الشفعُ فهو آدمُ وحواءُ ، عليهما السلام ، وأما الوترُ فهو اللهُ عزَّ وجلَّ

4-(وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ)



{ والليل إذا يسر } يعني إذا أقبلَ ، وهيَ ليلةُ الأضحى ،



5-(هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ)

فأقسمَ اللهُ بيومِ النحرِ ، والعَشرِ ، وبآدمَ وحواءَ ، وأقسمَ بنفسهِ ، فَلما فَرغَ منها ، قَال :{ هَل في ذلكَ قَسَمٌ لِذيْ حِجْر } يعني إنَّ في ذلكَ القسمُ كفايةً لِذي اللُّبِ ، يعني ذا العقلَ ، فَيَعرِفُ عِظَمَ هذا القسم ، فأقسمَ اللهُ { إنَّ ربكَ لَبِالمِرْصاد } [ الفجر :14 ] .



6-(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ)



وأما قَوْلُه :{ ألم تر كيف فعل ربك بعاد } يعنى بِقومِ هُودٍ ، وإنما سماهمْ قَومَ هُودٍ ، لأن أبَاهمْ كان اسْمُهُ ابنَ سَمَلَ بنَ لَمَكَ بنَ سَامَ بنَ نُوحٍ ، مثلُ ما تقولَ العربُ ربيعةُ ومضرُ وخزاعةُ وسليمُ ، وكذلكَ عادٌ وثمود ،



7-(إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ)



ثم ذكرَ قَبيلةً مِنْ قَومِ عادٍ ، فقالَ :{ إرم } وهي قبيلةٌ مِن قَبائِلِهم اسْمُها إرَم ، ثم قال :{ ذات العماد } يعني ذاتُ الأساطينِ ، وهي أساطينُ الرَّهْبَانِيِّينَ التي تكونُ في الفَيَافِي والرِمالِ ، فَشَبَّهُ اللهُ عزَّ وجلَّ طُولَهُم إذْ كانوا قِياما في البَرِيّة بأنه مثلُ العمادِ ، وكان طولُ أحدِهِم ثَمَانيةَ عشرَ ذِرَاعَا ، ويَقالَ : اثنيْ عَشَرَ ذِراعا في السماءِ مِثلُ أعظمِ أسْطُوانةٍ تَكون ،



8-(الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ)

قال :{ التي لم يخلق مثلها في البلاد } يقولُ : ما خلقَ اللهُ عز وجل مثلَ قومِ عادٍ في الآدَميينَ ، ولا مِثلَ إرمٍ في قومِ عادٍ .

9-(وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ)



ثم ذكرَ ثمودَ ، فقالَ :{ وثمود } وهو أبوهمْ ، وبِذلكَ سَمَّاهُم ، وَهم قومُ صالحٍ ، فقال :{ الذين جابوا الصخر بالواد } يقولُ : الذين نَقَّبُوا الصَّخر بِالوَادي ، وذَلكَ أنهم كانوا يَعْمَدُونَ إلى أعظمِ جبلٍ فَيَثْقِبُونَهُ ، فَيَجْعلونَهً بَيتاً ، ويجعلون بابَهُ منها ، وغَلْقَهُ منها ، فذلك قولُهُ :{ وتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتَا فَارهين } [ الشعراء :149 ] ،



10-(وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ)



ثم ذَكرَ فرعونَ واسْمُهُ مُصْعَبَ بنَ جَبْرٍ ، ويقالُ : الوليدُ بنُ مُصعبٍ ، فقال :{ وفرعون ذي الأوتاد } وذلك أنه أوْثَقَ الْمَاشِطةَ على أربعِ قَوائمٍ مُسْتَلْقِيَةٍ ، ثُم سَرَّحَ عليها الحياتَ والعقاربَ ، فَلَمْ يَزَلْنَ يَلْسَعْنَها ويَلْدَغْنَها ، ويَدخلون مِنْ قُبُلِها وَيخرجونَ مِنْ فِيْهَا حتى ذَابتْ كما يَذُوبُ الرَّصاصُ ، لأنه تَكَلَّمَتْ بالتوحيدِ ، وذلك أنَّها كانتْ تَمْشُطُ هَيْجَلُ بنتَ فِرعونَ ، فَوقعَ الْمِشطُ مِنْ يَدِها ، فقالتْ : باسمِ اللهِ وخَيْبَةً لِمَنْ كَفَرَ بِالله ، فَقالت ابْنِةُ فرعونَ : وأيُّ إلَهٍ هَذا الذي تَذكُرِيْنَ ؟ قالتْ : إلهُ موسى ، فَذهبتْ فأخبرتْ أبَاها ، فكانَ مِنْ أمْرِهَا مَا كان ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ :{ وفرعون ذي الأوتاد } يقول : إنَّهُ أوثقَ امرأةٌ عَلى أرْبَعِ قَوائِمٍ مِنْ أجْلِ أنَّها عَرفتني .



11-(الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ)

ثم جمع عاداً وثمودَ وفِرعونَ ، فقال :{ الذين طغوا في البلاد } يعني الذينَ عَمِلوا فيها بالمعاصي

12-(فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ)

{ فأكثروا فيها الفساد } يقول : فأكثروا فيها المعاصي ، فلما كَثُرتَ مَعْصِيَتُهُمْ

13-(فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ)

{ فصب عليهم ربك سوط عذاب } يعني نِقْمَتُهُ وكانتْ نِقْمَتُهُ عَذابا ، ثم رَجع إلى قَسَمِهِ الأول ،

14-(إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)



فقال :{ إن ربك لبالمرصاد } بِالصِّراطِ ، وذلك أنَّ جَهنمَ عليها سَبْعً قَنَاطِرَ ، كَلُّ قَنْطَرةٍ مَسِيْرَةُ سَبْعِينَ عَاما ، على كُلِّ قَنطرةٍ ملائكةٌ قِيامٌ ، وجُوهُهُمْ مِثلُ الْجَمْرِ ، وأعيُنُهُم مثلُ الْبَرْقِ ، بأيديهم الْمَحَاسِرَ والْمَحَاجِنَ ، والكَلالِيْبَ يُسألون في أولِ قَنطرةٍ عن الإيمانِ ، وفي الثانيةِ يُسألونَ عن الصلواتِ الْخَمس ، وفي الثالثةِ يُسألونَ عن الزكاةِ ، وفي الرابعة يُسألون عن صَومِ رَمضان ، وفي الخامسة يُسألون عن حَجِّ البيت ، وفي السادسة يُسألون عن العُمرة ، وفي السابعةِ يُسألون عن مَظَالمِ الناس ، فذلك قوله :{ إن ربك لبالمرصاد } .



15-(فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ)

وأما قوله :{ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن } نَزلتْ الآية في أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ الْجُمًحِيِّ ، وعَبدِ اللهِ بنِ نُفيلٍ ، أتَاهُ يَأمُرُهُ بالمعروفِ ، ويَنهاه عن المنكرِ ، ويُذَكِّرُهُ ذلك ، فقالَ له أميةَ بنَ خَلفٍ : ويْحَكَ أليسَ اللهُ يقول :{ ذلكَ بِأنَّ اللهَ مَولى الذين آمنوا وأنَّ الكافرين لا مَولى لهم } [ محمد :11 ] ، قال عبدَ اللهِ بنَ نُفيلٍ : نعم ، قال : فما له أغْنَاني وأفْقَرك ؟ قال : كذلك أرادَ اللهُ ، قال أمية : بلْ أغْنَانِيَ اللهُ لِكَرَامتي عليه ، وأفْقَرَكَ لِهَوانِكَ عَليه ، قَال عبدُ اللهِ بنُ خَطَلٌ عند ذلك : لَخَلِيقٌ أنْ يكونِ اللهُ فعل ذلك ، فأنزلَ اللهُ تعالى :{ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن }



16-(وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ)

{ وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن } قال : يقول : كلا مَا أغْنيتُ هذا الغنيَّ لِكَرامته ، ولا أفقرتُ هذا الفقيرَ لهوانه عليَّ ، ولكنْ كذلك أرَدْتُ أنْ أُحْسِنَ إلى هذا الغنيُّ في الدنيا ، وأُهَوِّنُ على هذا الفقير حسابه يوم القيامة ، ثم قال في سورة أخرى :{ فإن مع العُسرِ يُسرا إن مع العسر يسرا } [ الشرح : 5 ، 6 ] يقول : لَيس مِنْ شِدَّةٍ إلا بَعدها رَخاءٌ ، ولا رَخاءَ إلا بَعْدَهُ شِدَّةٌ.



17-(كَلَّا بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ)

ثم انقطعَ الكلامُ ، ثم ذَكرَ أميةَ بنَ خَلفَ الجُمَحِيَّ ، وذكرَ مساوئَهُ ، فقال :{ كلا } ما الأمرُ كما قال أُميةَ بنَ خلف { بل } يَعني لِكُلِّ { لا تكرمون اليتيم }

18-(وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ)

{ ولا تحضون على طعام المسكين } لأنهم لا يَرْجُونَ بها الآخرةَ

19-(وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلا لَمًّا)

{ وتأكلون التراث أكلا لما } يعني تَأكلون الميراثَ أكلاً شديدا

20-(وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا)

{ وتحبون المال حبا جما } ويَجمعون المالَ جَمْعَا كثيرا ، وهيَ بِلُغةِ مَالكِ بنِ كِنَانةَ ،



21-(كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا)

ثم قال :{ كلا } ما يؤمنونَ بالآخرةِ وهو وعيدٌ ، وأما قوله :{ إذا دكت الأرض دكا دكا } يعني إذا تُركت فاستوت الجبالُ مع الأرضِ الممدودةِ .

22-(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)

ثم قال :{ وجاء ربك والملك صفا صفا } وذلك أنه تَنشقُ السماواتُ والأرضُ ، فَتَنْزِلُ ملائكةُ كلِّ سَماءٍ ، وتقومُ ملائكةُ كلِّ سماءٍ على حدةٍ ، فيجئُ اللهُ ، تباركَ وتعالى ، كما قال :{ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك } [ الأنعام :158 ] ، وكما قال :{ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظل من الغمام والملائكة } [ البقرة :210 ] قياما صفوفا ،



23-(وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى)

قال :{ وجيء يومئذ بجهنم } يُجاء بها في مَسيرةِ خَمْسِ مائةِ عامٍ عليها سبعونَ ألفَ زِمَامٍ على كلِّ زِمامٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ ، مُتَعلقونَ بها يَحْبِسُونَها عن الخلائقِ ، وجُوهُهُم مثلُ الْجَمرِ ، وأعْيُنُهُم مثلُ الْبَرْقِ ، فإذا تكلمَ أحدهم تَنَاثَرتَ مِنْ فِيْهِ النارُ مِنْ فِيهِ بِيَدِ كُلِّ مَلَكٍ منهم مِرْزَبَةٌ ، عليها ألفاً وسبعونَ رأسا كأمثالِ الجبالِ ، وهي أخفُ في يَدهِ مِنْ الرِّيْشِ ، ولها سبعةُ رءوسٍ كرءوسِ الأفاعي ، وأعْيُنُهُم زُرُقٌ ، تَنْظُرُ إلى الخلائقِ مِنْ شدةِ الغضبِ ، تريدُ أن تَنْفَلتَ على الخلائقِ مِنْ غَضَبِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ويُجَاءُ بها حتى تُقامَ على سَاقٍ .   
ثم قال :{ يومئذ يتذكر الإنسان } يعني أميةَ بنَ خَلف الْجُمَحِي إذا عَاين الغَارَ والملائكةَ ، ثم قال :{ وأنى له الذكرى } يعني ومِنْ أينَ له التذكرةَ في الآخرة ؟ وقد كَفرَ بها في الدنيا ،

24-(يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي)

ثم قال يُخْبِرُ عن حَضالِهِمْ ، وما يَقولون في الآخرةِ إذا عَاينوا النار ، فقال :{ يقول يا ليتني قدمت لحياتي } في الدنيا لآخرتي



25-(فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ)

يقولُ اللهُ تعالى { فيومئذ لا يعذب عذابه } أي لا يُعَذَّبُ كَعذابِ اللهِ { أحد } يعني ليسَ أعظمُ مِنَ اللهِ تَعالى سُلْطَانُهُ على قَدَرِ عَظِيْمَتِه ، وعَذَابُهُ مِثلُ سُلْطَانِه ،

26-(وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ)

ثم قال :{ ولا يوثق وثاقه أحد } يعني ولا يُوثَقُ كَوَثَاقَ اللهِ عز وجل .

27-(يَأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ)

قوله :{ يا أيتها النفس المطمئنة } يعني المطمئنةُ بالإيمانِ

28-(ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً)

{ ارجعي إلى ربك راضية } لِعَمَلِكِ { مِرضية } بما أعطاكَ اللهُ عز وجل من الخير والجزاء

29-(فَادْخُلِي فِي عِبَادِي)

{ فادخلي في عبادي } يعني في رحمتي

30-(وَادْخُلِي جَنَّتِي)

{ وادخلي } مِنْ رَحمتي في { جنتي } آيةٌ نَظِيْرُها في طس النَّمْلُ ، قولُ سليمانُ بنُ داودَ ، عليهما السلام :{ وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين } [ النمل :19 ] نَزَلتْ هذه الآيةُ في حَبِيبِ بنِ عَدِيٍّ الذي صَلَبَهُ أهلُ مِكَّةَ ، وجَعَلوا وَجْهَهُ نحو المدينة ، فقال : اللهم إنْ كان لي عندكَ خَيْرٌ ، فَحَوِّلْ وجهي نَحو قِبلَتِها ، فَحَوَّل اللهُ عز وجل وجهه نحو هذه القبلة من غير أن يُحَوِّلَهُ أحد ، فلمْ يَستطيعْ أنْ يُحَوِّله عنها أحَدٌ .



حدثنا عبدُ اللهِ بنُ ثابتٍ ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا الهُذَيْلُ ، قال : حدثنا مُقاتلُ بنُ سُليمانُ ، عَن عَطاءَ بنِ أبي رَبَاحٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عباس] ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : خلقُ اللهُ السماءَ الدنيا مِنْ مَاءٍ حَرِجٍ مَكْفُوفٍ ، والثانيةُ مِنْ حَديدٍ ، والثالثةُ مِنْ فِضِّةٍ ، والرابعةُ مِنْ شَبه ، والخامسةُ مِنْ ذَهَبٍ ، والسادسةُ مِنْ ياَقُوتَةٍ حَمْرِاء ، والسابعة ُمِنْ نُورٍ عليها ملائكةٌ مِنْ نُورٍ قِيَامٌ صَفا صًفا ، فذلك قوله :{ والصافات صفا } [ الصافات :1 ] ، فهم أهْلُ السماءِ السابعةِ .

